الفصل الثاني

وجه التشابه بين الصعيد ومجتمع شبه الجزيرة العربية

obeikandl.com

obeikandl.com

عبدالناصر يؤكد على التشابه بين اليمن وصعيد مصر

فى تَشْدِيد على الأخوة والتراحم بين الشعبين المصرى واليمنى أكد الرئيس جمال عبدالناصر أمام علماء الدين اليمنيين فى خطبته باليمن بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥م على التشابه بين الصعيد واليمن وقد ذكر نصًا:

«لم نكن نشعر أننا نحارب فى بلد غريب أبداً، إننا نحارب فى بلد عربي، إننا نحارب فى بلد إسلامي، إننا فى مصر.. فى مصر.. تجدوا عائلات وبلاد أتت من اليمن، وأتت من شبه الجزيرة العربية واستقرت فى مصر، وعندنا فى الصعيد هناك بنى مر من قبائل بنى مره، وهناك بنى محمد، وهناك بنى حسن وهناك بنى عدى. وإننا نمثل بهذا الوحدة العربية الحقيقية لا فرق بين بلد عربى وبلد عربي» اهـ[١٤٠].

١٤٠ - خطبة الرئيس جمال عبدالناصر أمام علماء الدين فى اليمن ١٩٦٤/٤/٢٥م من الدقيقة

obeikandl.com

التعريف بشبه الجزيرة العربية

تقع شبه جزيرة العرب فى جنوب غربى آسيا، وهى تمثل قلب المشرق العربى واتصلت بالأقاليم المجاورة له منذ القدم، وأدت ظروف المناخ الصحراوى وشبه الصحراوى بها إلى دفع كثير من جماعاتها البشرية للاتجاه نحو هذه الأقاليم، عبر الطرق البرية والبحرية فى آن، وكانت البيئة فى جزيرة العرب بيئة تحدٍ؛ فهى بيئة صحراوية قاسية تدعو السكان إلى العمل الذى يتحدى الظروف الطبيعية[١٤١]، وكانت التجارة من أهم وسائل المعيشة وسببًا فى التواصل والانفتاح بينهم وبين الأمم، وقد استخدموا الإبل فى رحلتهم التجارية الطويلة والقاسية، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى رحلة قبيلة قريش التجارية فى قولة تعالى: **(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ*)**[١٤٢]. والمراد بذلك ما كانوا

٠٩:٠٩:٣٠ -(انظر الموقع الرسمى للرئيس جمال عبدالناصر).

١٤١ - دراسات فى جغرافية شبه جزيرة العرب، فتحى محمود أبوعيانه.

١٤٢ - سورة قريش (١-٢).

يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن، وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم [١٤٣].

وكانت اليمن صاحبة حضارة زاهرة نامية عظيمة، فاتصلوا بشعوب أفريقيا الشرقية وجزرها وبلاد الهند من خلال رحلاتهم البرية والبحرية، والتى عرفت من القدم، وتضم شبه الجزيرة العربية سبع دول فى الوقت الحاضر وهم (السعودية، الكويت، البحرين، قطر، الإمارات، عمان، اليمن).

١٤٣ - تفسير القران العظيم، ابن كثير.

obeikandl.com

تمهيد

لقد نقل الفاتحون العرب حياتهم الاجتماعية والبيئية وموروث أجدادهم إلى موطن استقرارهم الجديد، سواء بمصر أو بأى مكان كانوا يستقرون به، وقد تأثر بذلك المجتمع المصرى من حيث العادات الاجتماعيّة العربية، وقد تميز أهل الصعيد بالصفات العربية، وهى من خصائصهم الاجتماعيّة والأخلاقيّة عبر التّاريخ، والتى اشتهروا بها بين الحضارات والأمم، من الشهامة والنخوة وإكرام الضيف والجود و العفو عند المقدرة وإغاثة المحتاج و نجدة الملهوف، وقد عرف عن الصعيد أن الرجل فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها كان يمر من القاهرة إلى أسوان فلا يحتاج إلى نفقة، بل يجد فى كل بلد وناحية عدة دور للضيافة إذا دخل دارًا منها أحضر لدابته وعلفها وجيء له بما يليق به من الاكل ونحوه[١٤٤].

١٤٤ - الخطط والآثار، المقريزى ج١ ص١٨٩.

obeikandl.com

كما تميزوا بتقاليد عرفت بها العرب واختصت بهم واحتفظ بها أهل الصعيد عن أجدادهم، وهذه العادات أصيلة، لم تتغير مهما مر الزمان، ولم تتأثر التأثر الذى يصل للاندثار، فهى باقية ما بقى العرب، ولم تؤثر فيها التكنولوجيا والإحداثيات الناتجة من الانفتاح على الغرب.

obeikandl.com

«العصا» ظل الرجل بصعيد مصر لا يفارقه [١٤٥]

ارتبط أهل الصعيد خاصة, الغنى منهم والفقير، بالإمساك بالعصا فى أيديهم بالمناسبات، وعند مرورهم بالطرقات وبالحياة اليومية عامة، وأصبحت عادة لدى الجميع من سكان هذه المنطقة الجغرافية، ومن أداة إلى موروث شعبى تناقلوه جيلا بعد جيل، لتترسخ كإحدى مظاهر الزينة للرجال التى ارتبط بها حتى أنه يقوم بتطعيمها بالفضة أو بالمعادن أو بالجلود ليتميز بها، وقد عرفت العرب العصا، واستمرت معهم ببلدانهم والبلاد التى استقروا فيها، وهى صورة لنقل حياتهم الاجتماعية التى كانوا عليها فى منطقتهم.

وفى التعريف بالعصا قال العالم اللغوى والأديب ابن دريد: إنما سميت العصا عصا لصلابتها مأخوذة من قولهم: عص الشيء وعَصَا وعَسَا إذا صلب، والعصا عود من الخشب تتنوع أشكاله.

١٤٥ - مقال نشر لى (مؤلف الكتاب) فى جريدة «كلمة حق» عدد يوليو ٢٠١٧.

وللعصا بصعيد مصر مسميات عديده تختلف من محافظة لأخرى، ومن مركز لآخر، ولكن منافعها واحدة ومتعددة وارتبطت فى القدم بمهنة رعى الأغنام، وتستخدم أحيانًا للاتكاء عليها، والإشارة بها، وتستخدم كحماية من الكلاب الضالة وإزاحة الأذى بالطرقات، ومنها مآرب أخرى، وقد جاء ذكر العصا فى القرآن الكريم فى موضع قصة سيدنا موسى مع فرعون فى أكثر من آية وأكثر من سورة، وبمختلف المواقف التى مر بها سيدنا موسى، وقد جاء على لسان سيدنا موسى تعدد استخدام العصا فى قول الله تعالى: **(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَاموسى قَالَ هِى عَصَاى أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِى فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)** [١٤٦].

كما ان من استخدامات العصا بالصعيد فى القتال فيما بينهم أو كما تعرف بالعِراك، وهو ما يتشابه أيضًا عند العرب قديمًا، وقد قيل إن العرب كانت تقاتل بالعصا، فلهذا قال الأعشى ميمون بن قيس ابن جندل [١٤٧] فى قصيدته:

---

١٤٦ - سورة طه الآية ١٧.

١٤٧ - هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار. لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى فى اللغة هو الذى لا يرى ليلاً ويقال له: أعشى قيس والأعشى الأكبر. ويكنى الأعشى: أبا بصير تفاؤلاً. عاش عمرًا طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمى فى أواخر عمره. مولده ووفاته فى قرية منفوحة باليمامة، وفيها داره وبها قبره. وهو من شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية.

وَرَأَت بِـــأَنَّ الشَّـــيبَ جانَبَـهُ البَشاشَـةُ وَالبَشـارَة
لسـنْاَ نُضَـارِبُ بالعِصِى ولا نُـــــقاذِفُ بالحِجَارَة
إلا بِـكُـــلِّ مـُهَـنـــدٍ عَضْبٍ من البِيض الذكارة

وتستخدم فى الرقص وفى الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان، ويعتبر الرقص بالعصا من الفنون الشعبية التى لم يتخلوا عنها، وهى صورة متطابقة لدى أهل الصعيد فى مصر حيث رقص العصا هناك يعد مهمًا للغاية فى الأفراح كنوع من البهجة واستعراض القوة.

ذكرها الإمام القرطبى وأشار إلى العصا ومنافعها:

بأن ابن عباس، قال: إذا انتهيت إلى رأس بئر فقصر الرشا وصلته بالعصا، وإذا أصابنى حر الشمس غرزتها فى الأرض وألقيت عليها ما يظلني، وإذا خفت شيئًا من هوام الأرض قتلته بها، وإذا مشيت ألقيتها على عاتقى وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة، وأقاتل بها السباع عن الغنم[١٤٨].

وقد ورد ذكر العصا فى مواضع كثيرة ومختلفة بالسيرة النبوية بحياة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وحياة الصحابة، وكان يضرب بها الأمثال خاصة لأنها من الثوابت التى يعتادون عليها فى حياتهم اليومية ومنها ما جاء عن أنس بن مالك، رضى الله عنه،

١٤٨ - الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، تفسير سورة طه.

أنه قال: إنَّ أُسيدَ بنَ حضيرٍ ورجلاً آخرَ مِن الأنصارِ تحدَّثا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليلةً حتَّى ذهَب مِن اللَّيلِ ساعةٌ فى ليلةٍ شديدةِ الظُّلمةِ ثمَّ خرَجا مِن عندِ النَّبى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ينقلِبانِ وبيدِ كلِّ واحدٍ منهما عصاه فأضاءت عصا أحدِهما لهما حتَّى مشَيا فى ضَوئِها حتَّى إذا افترَقت بهما الطَّريقُ أضاءت بالآخَرِ عصاه فمشى كلُّ واحدٍ منهما فى ضَوئِها حتَّى بلَغ أهلَه [١٤٩].

١٤٩ - صحيح ابن حبان.

obeikandl.com

«العمامة» بالصعيد تاج العرب

اشتهر أهل الصعيد بعمامتهم التى ترمز لهم فى هذا المكان الجغرافى من مصر، وتستطع أن تميز ما إذا كان هذا الرجل من صعيد مصر أو غيرها من عمامته التى يرتديها، وللعمامة هناك وضع خاص فى نفوس الرجال، حيث يفتخر بارتدائه لها ويتزين بأفضلها فى المناسبات، كما أنه من عاداتهم أن لا يخلع الرجال العمامة إلا عند النوم أو عند الموت.

وترجع أصل عمامة أهل الصعيد إلى أجدادهم الفاتحين من قبائل العرب؛ حيث ورثوا تقاليد ارتداء العمامة منهم وظلوا عليها ولم يتخلوا عنها أبدا، مع مرور الزمن والقرون العديدة، بل وأصبحت زيًّا رسميًا تُزين بها رؤوس الرجال فى هذه المنطقة للعرب منهم وغير العرب.

ويرتدى أهل الصعيد العمامة البيضاء، وهى المتعارف عليها عند العرب وقت الفتح لمصر، وقد كانت شائعة فى الجاهلية وصدر الإسلام بهذا اللون، وكانت الملابس البيض عامة مرغوبا فيها فى الإسلام وجاء فى الحديث أن الرسول ﷺ قال: «البسوا البياض،

فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها أمواتكم»[١٥٠]. وقد لبس كثير من الصحابة العمائم البيض تأسياً بالرسول ﷺ.

و «العمامة» هى فخرهم وعزهم وأفخر ملبس يضعونه على رؤوسهم، وقد ورد عن عمر، رضى الله عنه، قوله: «العمائم تيجان العرب»، وهى تعد عادة من عادات العرب. خاصة العرب أصحاب الجاه والمكانة والنفوذ من حضر وبادية، فإنها تميزهم عن بقية الناس بلبسها، وكان يقال: اختصت العرب من بين الأمم بأربع: العمائم تيجانها، والدروع حيطانها، والسيوف سيجانها، والشعر ديوانها»[١٥١].

فهى تعبر عن شرف الرجل وعن مكانته، فإذا اعتدى عليها أو أهينت، لحق الذل بصاحبها، وطالب بإنصافه وبأخذ حقه. وإذا أهين شخص أو شعر بإهانة لحقت به، ألقى بعمامته على الأرض، ونادى بوجوب إنصافه.

وذكر إن الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن قد قدم الأندلس فى إمداد الشام فرأس بها فأراد أبو الخطار أن يضع منه فأمر به يومًا وعنده الجند فشتم وأهين فخرج وعمامته مائلة فقال له بعض الحُجاب: ما بال عمامتك مائلة؟! فقال: إن كان لى قوم فسيقيمونها

١٥٠ - المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

١٥١ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج٤.

وبعث إلى قومه فشكا إليهم ما لقى فقالوا: نحن لك تبع [١٥٢].

وكان يلقب العرب قديمًا الرجال بها لاستحسانهم فى لف العمامة أو طولها أو نوع الأقمشة فيعرف بها، ومنهم سعيد بن العاص ولقب ب «ذا العمامة»، وهذا اللقب متواتر فى صعيد مصر حيث يذهبون فى تسمية بعض الرجال بـ «أبوعمامة» لنفس الأسباب.

وتختلف العمامة عند العرب قديما بحجم العمامة وألوانها باختلاف العمر أيضا، فللشباب عمائم تميزهم عن الكهول والشيوخ. كما يختلفون عنهم فى اختيار ألوان الألبسة، وكانت تختلف من منطقة قبلية لأخرى. وذكر أن الرسول كانت له عمامة تسمى السحاب، وكان يلبسها ويلبس تحتها «قلنسوة». وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة. وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه [١٥٣].

وهذا الاختلاف الذى كان عند العرب من بين قبيلة لأخرى موجود فى صعيد مصر، حيث يختلف حجمها ونوع لفتها من مركز لآخر، ومن محافظة لأخرى، وهذا يرجع لسكان المكان نفسه من أى القبائل، أو بحسب القبائل التى سادت هذه المنطقة.

١٥٢ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرى التلمساني.

١٥٣ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ٤٨.

وقد تطورت العمامة بتطورات كثيرة ومختلفة على مدى العصور، وهناك من بلاد العرب من تخلوا عنها، واستبدلوها «بالعقال»، وهو معروف لدى بلاد الخليج والشام، و لم تصل هذه الإحداثيات لأهل الصعيد، وقد احتفظوا بإرث أجدادهم وبشكل ولون عمامتهم وقت الفتح، وكذا أهل الحجاز و عمان واليمن والسودان وبعض المناطق بموريتانيا وليبيا احتفظوا بالعمامة العربية وإن اختلفت بعض الشيء فى اللون أو الهيئة، لكن صفة العمامة بموروثها مازالت لديهم كما هو عند أهل صعيد مصر.

obeikandl.com

النخلة مفهوم الانتماء للعروبة بالصعيد [١٥٤]

تعتبر النخلة من أهم ما ورثه أهل الصعيد عن أجدادهم العرب وتشهد مدنهم وقراهم ونجوعهم بكثرة البساتين وصفوف النخيل التى تشعر المار بها أن العرب كانوا وما زالوا يسكنون هذه الديار.

فمن المعلوم و الواضح أنه لا تتواجد النخلة بأرض إلا ووجد العرب، حتى أنك تجد من بلاد الغرب أسبانيا، والتى كانت الأندلس، إبان حكم المسلمين، تجد فيها النخيل يرصف طريقها وقراها وهذا لأن الأمير عبدالرحمن الداخل[١٥٥] كان قد طلب أن يأتوا له بشجر النخيل من بلاد العرب إلى الأندلس وزرعها فى قصره بعدما دخلها واستقر بها حكمه لتكون أنيساً له فى غربته بالأندلس فأنشد يقول:

---

١٥٤ - نشر لى (مؤلف الكتاب) هذا المقال فى جريدة النهار العراقية فى العدد ١٦٤٢ بتاريخ ٢٠١٧/٩/٢٥ تحت عنوان «النخلة مفهوم الانتماء عند العرب».

١٥٥ - عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان، بويع بالخلافة لما دخل الأندلس هاربًا، وذلك فى سنة ١٣٨هج، وكان من أهل العلم والعدل، مات سنة ١٧٠ فى ربيع الآخر، (تاريخ الخلفاء - جلال الدين السيوطى ص٣٢١).

obeikandi.com

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهى فى التقرب والنوى

وطول اكتئابى عن بنى وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة

فمثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلي

وقد حظت النخلة بحب العرب واحترامهم وتقديرهم والاهتمام بها وعشق ثمارها دون عن باقى الشجر وكانت رفيقًا لهم فى كل رحلاتهم وترحالهم، ولم يستغنوا عنها وظلت تروى فى أمثالهم وحديثهم، وسميت باسماء عدة، فالقصير منها يسمى «فَسيلَة»، وسميت الطويلة منها «الرَّقْلة».

و وصفها أبو العلاء المعرى بأنها أشرف الشجر فقال:

وردنا ماء دجلة خير ماء

وزرنا أشرف الشجر النخيلا

obeikandl.com

وقد استخدموا كل مشتقات النخيل فى بيوتهم وعمارتهم فكيف لهم أن ينسوها، وهى تشكلت بيئتهم البسيطة منها، ومن هذا الحب والتقدير كانوا يحتفلون ومازالوا بطرحها؛ فهو موسم شعبى مقدس لديهم سواء فى البادية أو الحضر، وقد جاء ذكرها فى كثير من المواضع وضرب بها الأمثال فى القرآن الكريم، مما يؤكد أهميتها فى هذه البيئة، وخاصة عند العرب، وقد اتضح ذلك عندما خصها الله عن باقى الأشجار فى قوله: **(فيها فاكهة وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ)**[١٥٦]. وقال ابن كثير: إن الله خص النخل بالذكر لشرفه ونفعه رطبًا ويابسًا والأكمام، أى أنها مكممة بالألياف، وهى الشجرة التى خصها الله أن تلد السيدة مريم تحتها سيدنا المسيح عيسى، وهو تكريم ما بعده تكريم.

وكان اهتمام العرب بالنخيل ملحوظًا حتى بالعصر الحديث، فعند تولى الشيخ زايد رحمه الله حاكم الإمارات العربية المتحدة كان من اهتماماته البيئية زراعة النخيل بكثرة والحث على زراعتها فى كافة أنحاء بلاده، وقد التقطت له صور أرشيفية وهو يزرع فسيلة من النخل ويسقيها بيده لكى يرسل لكافة المسئولين وأفراد الشعب والوافدين رسالة مفادها أن يهتموا بالنخيل وزراعته ورعايته، وقد غرس بذلك فى نفس الجميع أهمية النخيل بالانتماء.

---

١٥٦ - سورة الرحمن آية ١١

وتتميز العراق واشتهرت بأجود اصناف التمور وغناها ببساتين النخيل وبها أقيم مهرجانات النخيل فى محافظاتها المختلفة، وكذلك الأمر والتشابه فى صعيد مصر خاصة، وقد قيل إنه ليس نوعًا من أنواع التمر بالعراق إلا وفى صعيد «قَوص»[١٥٧] مثله، وفيه ما ليس بالعراق وأنه لا يوجد تمر يصير تمرًا قبل أن يكون رطبًا إلا بالصعيد، وأنه بأسوان ألوان بغداد كلها «من رطب» وألوان الكوفة وألوان البصرة، وأمر هارون الرشيد أن تجمع له ألوان الرطب بمصر إليه، ويقال أيضًا، كان بصعيد مصر، نخلة تحمل عشرة أرادب تمرًا، فغصبها بعض الولاة فلم تحمل فى ذلك العام ولاتمرة واحدة، وكانت هذه النخلة فى الجانب الغربيّ، وبيع منها فى الغلاء كل ويبة بدينار[١٥٨].

وتحتفى الشعوب العربية بالتمور فى مهرجانات شعبية تعرض فيها جميع الأصناف والالوان من التمر ففى مصر مهرجان سيوة للتمور، وفى السعودية مهرجان بريدة للتمور ومهرجان عنيزة، وفى المغرب مهرجان أرفود للتمور، وفى عمان مهرجان التمور العمانية، وفى الإمارات مهرجان ليوا للرطب، وكثير من المهرجانات

١٥٧ - مركز ومدينة فى محافظة قنا جنوب مصر، ذكر المقريزى أن قوص أعظم مدائن الصعيد، وهى على النيل بنيت بعد قفط فى ايام ملك من ملوك القبط الاول ويقال له سدان بن عديم بن البودسير بن قفطريم قيل سميت باسم قوص بن قفط بن أخميم بن سياف بن اشمن بن مصر (الخطط والأثار، المقريزى ص٢٣٦).

١٥٨ - الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، الامام الإدفوى ص٢٨:٢٨ . الخطط والآثار، المقريزى ج١ ص١٨٩.

والاحتفالات التى تعم البلاد العربية والتى تكون تفاخرًا بإنتاج بلادها وسببًا فى تصدير إنتاجها لكافة البلاد.

obeikandl.com

الثأر.. آفة موروثة

الثأر هو الانتقام من القاتل والأخذ بدم القتيل دون الرجوع إلى ولى الأمر، وهى عادة قديمة جاهلية اشتهرت بها العرب وخصت بهم، وقد حرمتها الشريعة الاسلامية[١٥٩]، وتواجدت هذه العادة فى المجتمعات القبلية إلى يومنا هذا وهى معروفة لدى المجتمع اليمنى و صعيد مصر خاصة وهم يتفقون فى هذا العرف بما فيه من تقاليد ومظاهر لما توارثوه من اجدادهم العرب، فيعد من العار ان لا يؤخذ بالثأر فى هذه المجتمعات، ويشتهر لدى أهل الصعيد مثل «التار ولا العار»، وقد جاء المعنى فى مثل آخر لدى أهل اليمن «لا يأخذ بثأر ولا يحمى عار» [١٦٠]، وهو تأكيد على أن

١٥٩ - نصت فتوى تحريم الثأر على أنه إذا كان أهل المقتول قد تضرروا بقتل قريبهم، وأصابتهم المرارة ولحقتهم الأحزان فلا يعطيهم هذا مبررًا مقبولًا فى أن يُداوُوا مراراتهم بإلحاق الضرر بالأبرياء الذين لا ذنب لهم ولا جريرة فيما وقع للمقتول. كما أن هناك مفسدةً أخرى فى ممارسة عادة الثأر بشكل عام، وهى التعدى والافتئات على ولى الأمر فى شيء من صلاحياته التى رتبها له الشرع وفوضه فيها دون غيره، وهو الاختصاص باستيفاء العقوبات. والافتئات على ولى الأمر بوجه عام ممنوعٌ محرمٌ، لأنه تَعَدٍّ على حقه بمزاحمته فيما هو له، هذا من جهة، وتَعَدٍّ على إرادة الأمة التى أنابت حاكمها عنها فى تدبير شئونها من جهة أخرى (انظر نص الفتوى كامل - موقع دار الإفتاء المصرية رقم الفتوى : ٢٥١٩).

١٦٠ - دراسة الدكتور أحمد على جندب عن ظاهرة الثأر فى المجتمَعَين اليمنى والمصري،

عدم أخذ الثأر من العار والفضيحة، ولا خيار بين هذا وذاك فى المجتمعين، فالأخذ به دليل على الشجاعة والقوة، والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة، وتلزم هذه الأعراف القبلية أهل القتيل والأقربين له، فالأبناء هم الأحق بالقصاص لدم أبيهم، يليهم الأخوة الأشقاء، فالأخوة غير الأشقاء، وإذا لم يكن للقتيل أبناء أو إخوة، فحق المطالبة بالدم ينتقل إلى أبناء العم الأشقاء، ومنهم إلى أبناء العمومة غير الأشقاء [١٦١] بالانتقام من القتيل سواء بقتله أو بقتل أهم أشخاص فى القبيلة الأخرى، سواء كان فارسًا أو شيخًا أو من المرموقين، والقتل والأخذ بالثأر لا يلزم سوى أقارب «الدم»، أى من ناحية الأب، ولا علاقة لأقارب الأم سواء من ناحية القاتل أو القتيل، وشاركت النساء منذ القدم بالحث على هذه العادة الجاهلية، فتربى الأم ابنها على الأخذ بدم أبيه، فيبلغ الطفل مبلغ الرجال فينفذ ما غرزته أمه فيه منذ طفولته، ويأخذ بدم أبيه من خصومه والانتقام فهذه «كبشة» أخت عمرو بن معد يكرب، تعير قومها لتكاسلهم فى إدراك الثأر، وتحرضهم على الامتناع عن قبول الدية، لأن فى ذلك عارًا وضعفًا فتقول منشدة:

أرسل عبد الله إذ خان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

موسوعة ويكيبيديا.

١٦١ - جريدة النهار العدد ٢٩٣ - ٢٠٠٨/٠٦/٢٤، دراسة الدكتور أحمد على جندب عن ظاهرة الثأر فى المجتمَعَين اليمنى والمصرى.

ولا تأخـذوا منهـم إفـالا وابكـرا وأتـرك فى بيـت بصعـدة مظلـم

ودع عنك عمرا أن عمرا مســالم وهل بطن عمروا غير شبر لمطعم

فــان انتــم لم تثــاروا واتديتــم فمشــوا بــإذن النعــام المصلــم

ولا تــردوا إلا فضــول نســائكم إذا ارتملــت أعقابهــن مــن الــدم

ويتشـابه الأمـر نفسـه فـى صعيد مصـر فتلعب المـرأة دورًا بـارزًا هناك فـى الحـث علـى الثـأر وتربـى طفلهـا علـى ذلـك، وقـد تهـدد قومهـا أنهـا تأخـذ الثـأر بنفسـها إن لم تحصـل علـى حـق زوجهـا أو ابنهـا أو أبيهـا، وقـد تفعـل أحيانًـا، وتنفـذ الثـأر بنفسـها، ويصـل بهـا الحـال أحيانًـا لترديدهـا الدائـم المواويـل البكائيـة المزوجـة بالـدم، لإثـارة المشـاعر، لا مشـاعر النسـاء فقـط، وإنما مشـاعر الرجال أيضًـا مثل [١٦٢]:

فـين الرجالـة السـدَّادة اضربـوا عـز القيالـة[١٦٣]:

فـين الرجالـة المسـمية [١٦٤] اضــربوا عــز الضــهرية

وقـد نقـل لنـا أهـل الأخبـار قصصًـا قديمـة عـن الثـأر عنـد العـرب، وهـو مـا يشـبه اليـوم فـى هـذه المجتمعـات، ومنهـا قصـة قتـل جسـاس لكليـب وأخـذ أخيـه الزيـر السـالم بـدم أخيـه كليـب، وقامـت الحـرب

١٦٢ - أشكال العديد فى صعيد مصر، درويش الأسيوطي.

١٦٣ - القيالة : تعنى فى وقت ظهور الشمس والنور لا بالظلام والتستر.

١٦٤ - المسمية : أى الرجال مشهورة الأسماء.

بين بكر وتغلب ودامت أربعين سنة[١٦٥]، فهذه العادة القديمة كانت سبب فى قطيعة الرحم وزرع الغل والكرهة بين الناس وتسببت فى هجرات الناس من أوطانهم وقراهم فرارا من شبح الموت الذى يأكل الأخضر واليابس.

obeikandl.com

١٦٥ - زارت البسوس بنت منقذ التميمية، أختها أم جساس بن مرة ومع البسوس جار لها من جرم، يقال له سعد بن شمس، ومعه ناقة له، فرماها كليب وائل لما رآها فى مرعى قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهى ترغو وضرعها يشخب لبنًا ودمًا، فلما رأى ما بها انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: واذلاه ! واغربتاه وأنشأت تقول أبياتًا تسميها العرب أبيات الفناء. فسمعها ابن أختها جساس فثار الدم فى رأسه، وخرج معقبًا كليبًا حتى وجده فطعنه طعنة قضت عليه. ووقعت الحرب بين بكر وتغلب ودامت أربعين سنة.

الزواج.. والأعراف المتوارثة

عُـرف عـن العـرب قديمـا بأنهـم يتخـيرون النسـب فـى الـزواج، ومـن الصعـب عندهـم أن تجـد أحـد أفـراد القبائـل يتـزوج مـن غـير العـرب أو مـن قبائـل غـير متعـارف بنسـبها كـفء لنسـبهم وكان اذا تجـرأ وفعـل ذلـك يتـم حرمانـه مـن انتمائـه للقبيلـة أو مـن إرث اجـداده بسـبب مخالفتـه لهـذا الأمـر، والـذى يعـد حفاظًـا علـى نقـاء وصفـاء العـرق[١٦٦]، وكانـوا يميـزون بـين أبنائـه وبـين أبنـاء غـيره مـن قومـه بسـبب خلـط نسـبه بنسـب ليـس كفئًـا لهـم، وإذا كان صعبًـا علـى الرجـل أن يتـزوج مـن غـير العـرب، فمـن المسـتحيل علـى المـرأة أن تتـزوج مـن الأعاجـم، وقـد ذكـر فـى التاريـخ أن هنـد بنـت النعمـان بـن المنـذر[١٦٧] وتكنـى بـ»الحرقـة» كانـت مشـهورة

١٦٦ - «العرق» هو أصل الشيء، والمعنى هو تحرى الدقة فى اختيار الزوج للزوجة والعكس، لأن الصفات الإنسانية يتوارثها الأبناء. (انظر معجم المصطلحات الفقهية).

١٦٧ - النعمان بن المنذر أحد ملوك العرب، وقد جاء ذكره فى السيرة النبوية لابن هشام «قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن شيخ من الأنصار من بنى زريق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى بسيف النعمان بن المنذر، دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى - وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فسلحه إياه، ثم قال : ممن كان يا جبير، النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قنص بن معد .

بجمالها البارع وحسنها الفريد وكانت أحاديث الناس حولها تدور، وتضرب الأمثال بحسنها وجمالها حتى وصل خبرها إلى «كسرى» فرغب فيها وتمناها لنفسه فأرسل إلى إبيها يطلبها منه للزواج فأنف النعمان أن يزوّجها من أعجمي ولوكان ملكًا [١٦٨].

بل واشتهر عند رفضهم النسب أن يقال « العِرق دسّاس»، وقد جاء هذا المعنى بأنه حديث نبوى وقد ضعفه أغلب الأئمة.

وقد فسر السفارينى فى غذاء الألباب بقوله: وقوله «أى فى الحديث»: فإن «العِرق دسّاس» أى دخّال بالتشديد، لأنه نزع فى خفاء ولطف، ومعناه أن الرجل إذا تزوج من منبت صالح، جاء الولد يشبه أهل الزوجة فى الأعمال والأخلاق وعكسه..

وبمفهوم أهل الصعيد يعرف أن العِرق دسّاس، ويشددون على هذا المفهوم ويرددون قوله ما إذا أقدم أحد من أبنائهم على الزواج من غير الكفء لهم، وقد جاء ذلك فى أشعارهم وما يعرف بفن «الواو»[١٦٩] فيقول الشاعر المعاصر الصعيدى عبد الستار سليم:

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لخم من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أى ذلك كان» .

١٦٨ - شعراء جاهليون، «هند بنت النعمان بن المنذر»، فالح الحجية الكيلاني، المفصل فى تاريخ العرب.

١٦٩ - فن الواو هو أحد الفنون الشعرية الشعبية بصعيد مصر، وخاصة محافظة قنا «الصعيد الجواني»، وقد حفظ لنا فن الواو الكثير من أحداث وتواريخ ومعالم حياتية ومكانية وزمانية جرت على أرض الصعيد، فكانت الفصاحة قديمًا هى الغالبة بخلاف ركاكة اليوم، وكانت سجية وقريحة القوم لازالت معطاءة، أما اليوم فربما نضبت أو كادت، وهو أحد أشكال الزجل، الذى

العِرْق للعِــرْق دسّــاس

والضلمة ما تنجليلا

احذر إذا كنت «جسّــاس»[١٧٠]

من «هجرس» ابن الجليلة[١٧١]

وقد تواتر عند العرب أيضًا قولهم: «الولد وإن طاب طيبه من خوال عن الخوال يُسال قبل الوالدين»، وهو ما يؤكد أن العرب كانوا ينشدون ويشددون فى الزواج واختيار أهل الزوجة قبل الزوجة بأكثر عناية وكفاءة لأن صفات الأبناء تعود لأخوالهم أى لقوم أمهم، وتعتبر الصفات التى يحرصون على الابتعاد عنها هى شهرة من يقدم على مصاهرتهم بالحَقَارَةِ والخَساسة, والخُنُوعِ، والبخل، والجبن فمن المعروف أن عكس هذه الصفات اشتهرت بها العرب فكان من المرفوض عندهم أن يتصف الرجال بما يخالفها.

وهناك مثل متعارف عليه فى صعيد مصر وعند العرب بأن «العرق يمد لسابع جد»، وبهذا المثل تجسد مفهوم الناس للأنساب وخوفهم

يُنسب عادة إلى شاعر قنائى من محافظة قنا بصعيد مصر هو أحمد ابن عروس (انظر كتاب إقليم نقادة للدعباسى).

١٧٠ - يقصد الشاعر بـ جساس بن مُرة أخو كُليْب

١٧١ - يقصد الشاعر بـ جليلة بنت مُرة

من اختلاطها، وحتى لا يختلف سلالتهم العريقة بالزواج من غير العرق العربى ليصل بهم الحال تتبع الصفات حتى أبعد جد، ومن الممكن أن تصل إليهم معلومة عنه أو عن سيرته وحياته وصفاته.

وفى عهود سابقة كان هذا المقياس هو أحد الأساسيات فى عمليات المصاهرة والزواج، وهناك من يتبع ذلك إلى الآن من القبائل التى مازالت محافظة على هذه التقاليد المتوارثة سواء بمجتمع الصعيد أو المجتمعات العربية القبلية.

obeikandl.com

النساء و الزينة

تعد زينة المرأة من الضرورات فى المجتمع العربى حيث تتجمل المرأة لزوجها ويوم زفافها وفى المناسبات الخاصة بالقبيلة والأسرة وتتفنن فى ذلك لتظهر بأحسن صورة أمام زوجها وأمام النساء مثلها، وذلك حسب قدر حالها واستطاعتها وما توفره لها البيئة، وقد عرف العرب بعض أنواع التزين الذى اتفقوا عليه، سواء كانت المرأة بصعيد مصر أو المرأة فى الجزيرة العربية، ومن الأشياء التى يمكن التحدث عنها وهى:

الملابس: أهتمت المرأة العربية جل الاهتمام بملابسها وتفننت بذوقها الرفيع فى اختيار الألوان الجميلة والتى احتوت على نقوش ورسوم من الطبيعة، وولعت المرأة العربية بالثياب المطرزة، ولبست جميع أنواع الأقمشة من الصوف والقطن والحرير والدمقس والسندس والديباج والاستبرق والخز.

الحَلْي: استخدمت المرأة العربية الحلى فى زينتها من المشغولات الذهبية والفضية والجواهر والأحجار الكريمة وارتدت الخلخال

والأساور والخواتم والقلادات والقرط، وترتدى النساء ما يسمى العصابة على رأسها، وهى قطعة ملونة من قماش الحرير أو الكتان أو القطن تشدها المرأة على جبينها وتربطها من الخلف وتعلق بها الخرز [١٧٢]، وتعرف بالصعيد «بالعصبة»، وبمنطقة جيزان بالمملكة السعودية «بالمعصبة» وببادية سورية «هبرية»، والعصابة أيًّا كان اسمها فهو من حلى الرأس لدى نساء العرب بتلك المجتمعات.

الكحل: كذلك اعتنائها بعيونها واستخدامها للكحل فى الجاهلية وتوارثوه حتى الآن ليظل من ثوابت الزينة لديهم، وقد تغنى الشعراء بسحر العيون الكواحل، واعتبروها مصدرًا للإلهام، ورمزًا للجمال، وأسهبوا فى وصفها، هذا السحر لا يكتمل من دون الكحل.

الشَعْرَ: يعد شعر المرأة من أكثر ما تتباهى به، ومن أثمن الأشياء لديها وأكثر ما تقوم برعايته وتصفيفه كل يوم، ويعرف عن المرأة العربية تضفير شعرها، والضَّفيرةُ أن تأخذ كل خصلة من شعرها وتلتويها على الأخرى كلٍّ على حدة، وقد جاء ذكر الضفائر فى نوح النساء بالصعيد عند فقدان امرأه عزيزة عندها فتقول:

والغاصلَه قعدت ورا ضهري حلِّت ضفايرى وبللَّتْ شعري [١٧٣]

١٧٢ - مجلة الثقافة الشعبية، البحرين عدد ٩، الحلى والزينة فى الثقافة العربية والشعبية.

١٧٣ - تتحدث النائحة عما يحدث للفقيدة فى التو، وعلى لسان الفقيدة نفسها تقول: لقد جلست الغاسلة وراء أكتافى، وقامت بنقض ضفائري، ووضعت بعض الماء على رأسى ثم أفاضت الماء على

ويقال للضَّفيرةُ بالصعيد «عُقصَة»، وذكر بعض علماء اللغة أن العقص أن تأخذ المرأه كل خصلة من شعر فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها، فكل خصلة عَقِيصَة[١٧٤] وهو ما يعرف المجتمعين.

كما كانت تستخدم المرأه شعرها فى التعبير عن الحداد على موت عزيز لديها كزوجها أو أبيها، وعرفت المرأة فى الجاهلية بحلق شعرها إذا أصيبت بمصيبة [١٧٥]، وهو ما كانت تقوم به المرأة فى الصعيد منذ زمن، وقد أشارت الخنساء فى شِعرها قائلة:

ولكنى رأيت الصبر خيرًا من النعلين والرأس الحليق

الوَشْمُ: ويعرف بالدَّق، وهو رسم بعض أشكال الطبيعة من زهور وأشجار أو نجمة أو هلال أو أبراج أو نقطة أو أشكال هندسية عن طريق غرز إبرة أو نحوها فى المكان المراد سواء كان أسفل الشفاه أو بين الحاجبين أو على الخدين أو بالأيدى، حتى يسيل الدم ثم يحشى بالنّؤُور، وهو دخان الشحم أو بالكحل أو بالنيلج أو نحوها فيزرق أثره أو يخضر[١٧٦]، معتبرين بذلك تجميلاً لهم ونوعًا من

ظهرى . (انظر أشكال العديد بالصعيد)

١٧٤ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام.

١٧٥ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج٤.

١٧٦ - نفس المصدر السابق

أنواع الزينة، وهو من العادات العربية التى كانت فى الجاهلية وتوارثتها النساء فى مناطق كثيرة من المناطق العربية القبلية، وفى صعيد مصر تجد النساء المُسِنَّة تستوشم إلا أن هذه العادة أصبحت حاليًا فى اندثار، خاصة مع ظهور جيل جديد لم يعد بحاجة إلى مثل هذه العادة للزينة والتجميل، ومع التوعية الدينية بحرمانيتها.

الحناء: الحناء هى شجرة يعتقد أن موطنها الأصلى بلاد فارس، ويستخدم مسحوق أوراقها فى التزيين لدى الرجال والنساء وتلازم الحناء النساء فى المناسبات وخاصة الاعياد و الافراح وتقام ليلة قبل الزفاف تسمى «ليلة الحناء»، وتقوم النساء بالرسم على أعضاء جسدها من كفين واصابع وقدمين وبجميع أجزاء جسدها للتجمل وتتزين به، وتظهر فى أتم صورة، كما تقوم بدهن شعرها بالحناء كنوع من التغير ودهن الشعر الأبيض لدى المسنين، وفى بادية نجد يستخدم الحناء لتجميل الشعر واليدين فقط، وفى قبائل عنزة وشمر وعتيبة وحرب ومطير، أما قبائل قحطان وسبيع والرشايدة فكانت المرأة تستخدم الحناء لتجمل الأرجل[١٧٧].

١٧٧ - مجلة الثقافة الشعبية، البحرين عدد ٢٠، الحلى وأدوات الزينة التقليدية فى بادية نجد من المملكة العربية السعودية.